دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

أثر التفاعل الثقافي والتجاري المتوسطي
القرون الوسطى أنموذجًا

د. حبيب البدوي
أستاذ مشارك التاريخ الحديث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجامعة اللبنانية – الجمهورية اللبنانية

مُلَخّص

إنّ التفاعل الثقافي والتجاري المتوسطي ليس وليد اليوم، إن كان البحر المتوسط شريانًا رئيسيًا للتفاعل بين الحوضين الشمالي الأوروبي والجنوبي الإسلامي منذ آلاف السنين، حيث شهدت العصور الوسطى وهي الفترة الممتدة من القرن الخامس حتى القرن الخامس العشر الميلادي، وقد تميّزت هذه الحقبة بسقوط العديد من الدول والسلالات ونهوض دول أخرى ازدهرت بالتبادلات التجارية والثقافية بين الحوضين. فالعالم الإسلامي هو الأكثر قوةً ونفوذًا في منطقة البحر المتوسط لتلك الفترة، لا سيما في عهد الأمويين والفاطميين والمرابطين على جزء كبير من شواطئ وجزر البحر الأبيض المتوسط، فيما كانت الدويلات المسيحية كمملكة صقلية وجمهورية البندقية والولايات البابوية قد حاولت الحدّ من النفوذ والسيطرة الإسلامية في بحر الروم. فكانت التبادلات التجارية بين الحوضين واسعة النطاق، فتمّ تبادل السلع كالمنسوجات والتوابل والسلع الكمالية، حيث كان العالم الإسلامي هو المصدر الرئيسي للمنسوجات وخاصة الحرير والمواد الفاخرة كالخزف والسجاد والزجاج، فيما كان الطرف الثاني من الحوض المتوسطي (العالم المسيحي) مصدرًا للتوابل والسلع الزراعية. كما وتميّزت تلك الفترة بالتبادل الثقافي حيث برزت المدارس التعليمية تظهر بشكل واضح، إضافة للفن والعمارة المسيحية لا سيما في صقلية وطليطلة والأندلس، وهذه التبادلات الثقافية بين حوضي البحر المتوسط ساعدت في خلق عالم حيوي ومترابط في التجارة والثقافة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٤ أبريل ٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر: ٢٧ مايو ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

البحر الأبيض المتوسط؛ التفاعل الثقافي؛ التفاعل التجاري؛ الحضارة الإسلامية؛ المنهج التاريخي

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.332736

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حبيب البدوي، "أثر التفاعل الثقافي والتجاري المتوسطي: القرون الوسطى أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الستون؛ يونيو ٢٠٢٣. ص ٦٩ – ٧٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: habib.badawi@ul.edu.lb
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تكمن أهمية البحث في إبراز التمازج الحضاري بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية منذ العصور الوسطى عبر المعايير الحضارية. وإظهار العلاقات الحضارية من ثقافية وتجارية بين شعوب المشرق الغربي وشعوب المغرب من المسلمين والأوروبيين معًا. أضف إلى ذلك دراسة العلاقات والتفاعلات الثقافية والتجارية المتوسطية بعناية ودقة.

أسباب اختيار البحث:

١-لإظهار أوجه التشابه الإنساني بين حضارات البحر المتوسط.

٢-للتأكيد على العلاقات التجارية والثقافية بين العالم الإسلامي والحوض المتوسطي.

٣-لإبراز أهمية التجارة خاصة بين شمال أفريقيا وجنوب إيطاليا.

أهداف البحث:

١-للوصول على أن التفاعل الثقافي والتجاري جزء لا يتجزأ من العلاقات بين العالم الإسلامي والحوض المتوسطي.

٢-للتأكيد على الانصهار المتوسطي لا سيما ما بين ١٠٩٨م – ١٢٩١م.

٣-التأكيد على أن الحروب لا تُنهي ثقافة الطرف الآخر.

إشكالية البحث:

هل إن الحضارة الإسلامية فضلٌ في نقل العلوم وتطورها إلى أوروبا، كالأندلس وصقلية؟ وهل استطاعت التخفيف من وطأة التخلف والانحطاط وزادت الثقافة والتجارة؟

فرضية البحث:

إنّ هذه الدراسة تنطلق من ضرورة الاستفادة من الماضي لبناء الحاضر والمستقبل على حدٍ سواء، باعتبار أن الحروب والصراعات العسكرية في القرون الوسطى لم تولّد إلاّ القتل والدمار والتخلف والأحقاد، فالحضارة العربية في القرون الوسطى ورّثت العلم والمعرفة والثقافة والتجارة، فاستفادت أوروبا من هذه القيمة والتي أساها العدل والمساواة والاعتراف بوجود الآخر والعيش الكريم.

منهجية البحث:

استخدمت لهذه الدراسة المنهج التاريخي القائم على التحليل والاستنتاج والمقارنة لتكون المصادر والمراجع أساسًا لهذه الدراسة، وهي تقوم على دور التبادل التجاري والثقافي في منطقة البحث المتوسط في العصور الوسطى، كما وتقوم المصادر والمراجع بتحليل طرق التجارة وكيفيتها والأعمال الثقافية المادية للمنطقة، فضلاً عن أوجه التشابه والاختلاف بين صقلية والأندلس والدول الإسلامية المتوسطية. فيما تشمل المصادر الثانوية تاريخ الفن وتطوره، والنصوص التاريخية والدراسات الاثنوجرافية لفهم التأثيرات الاقتصادية والسياسية والدينية والفنية للمنطقة. كما وطبقت منهج التاريخ المقارن وذلك للنظر في القواسم المشتركة والاختلافات بين المناطق من حيث تاريخها وثقافتها وفنها. فعمدت إلى تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، في كل بحث عدة نقاط. ثم بالخاتمة وأهم الاستنتاجات.

أولاً: تعريف التفاعل الثقافي والتجاري المتوسطي في القرون الوسطى

١/١-تعريف كلمة "التفاعل" لغةً واصطلاحًا

تعريف كلمة "التفاعل" لغةً: التَّفاعل مصدر تَفَاعل، والتّفاعل الثقافي أو الاجتماعي هو: تأثر الثقافات أو المجتمعات ببعض[١]، وتأتي بمعنى التّعايش، أي أن يعيش بعضهم مع بعض[٢]. وذكر صاحب فقد اللغة وسر العربية أن التفاعل يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلاً وتناظرًا وتحاكمًا[٣].

أما بالمعنى الاصطلاحي في التاريخ: هو انصهار حضاري يعتبر الأمثل في التاريخ الإنساني، ويكون عبر اختلاط السكان عرقيًا عبر الزواج، وتأثير أصحاب الفكر بذوي التفكير المماثل، والمراسلات العلمية لكثير من إرثهم المعرفي من خلال دمج الحضارات المتوسطية لا سيما التي كانت للأغالبة[٤] والفاطميين[٥] وبنو زيري[٦] وغيرهم من الإمارات ما قبل الاحتلال النورماني، فحصل هذا الانصهار. والاختلاط بين الأمم بمختلف

وسائله، ومن ذلك الاتصال التجاري والثقافي يؤدي إلى حدوث تفاعل، فيولّد هذه الاحتكاك ألفاظًا جديدة تطلق على أشياء لم تكن لأهل تلك اللغة علم بها [٧].

٢/١-آثار التفاعل الثقافي والتجاري في القرون الوسطى

إن العلاقات المتبادلة بين صقلية النورمانية والعالم الإسلامي كانت متينة، فكانت صقلية تهتدي بالأنوار المنبعثة من القيروان[٨]، وكان لكل حادث أفريقي هام وصدى فيها، وسر هذا التفاعل ليس في أن صقلية قريبة من شمال أفريقيا فحسب، ولكن لأن أهل أفريقيا هم الذين افتتحوها، ومن ثم ظلت العلاقات قائمة بين المهاجرين وإخوانهم في الوطن الأصلي، وزاد هذه العلائق توثقًا تجدد الهجرة من أفريقيا إلى صقلية ورحلة الصقليين إلى القيروان في طلب العلم، وهي ظاهرة نراها موجودة حتى بعد أن أصبح لصقلية في النواحي العلمية اسم مذكور.

وفي أيام الكلبيين [٩] تمتعت صقلية بشيء من الاستقلال الذاتي مصحوب ببعض السيطرة الفاطمية، وكان هذا الوضع السياسي ذا مظهرين:

- تبلورت في صقلية جهود علمية خاصة وأصبح الجيل الناشئ من أبناء الفاتحين.
- مشاركة القاهرة للقيروان في توجيه الحياة الثقافية في الجزيرة.

وفي هذه الفترة أعلنت بلرم عن وجودها الثقافي والعقلي، وأصبحت تُذكر مع القاهرة والقيروان وقرطبة، وأضحى لها علماء وأدباء يهاجرون إلى الأندلس ومصر وشمال أفريقيا، إلى جانب هؤلاء جماعة ممن كانوا يسافرون في طلب العلم ثم يعودون إلى بلدانهم [١٠].

ثم إن العلاقات المتبادلة بين صقلية النورمانية والعالم الإسلامي كانت متينة، ولكن هناك اختلافات لا مفرّ منها بين التاريخ المغربي في العصور الوسطى والتاريخ الصقلي، بصرف النظر عن النطاق الواسع لشمال أفريقيا، فتناقض اللغات وثقافات سكان إسبانيا مع سكان صقلية التي لم تكن في عزلة بينها وبين غيرها من البلاد الإسلامية، فكانت الحركة الثقافية والتجارية بطيئة، وأخطار البحر تحدٌّ من نشاطها، ومع ذلك كانت الأسواق الصقلية مجالاً لتبادل السلع والأفكار والرحلة، وعاملاً أكيدًا في تفاعل الآراء، كما وكانت الرسائل المتبادلة بين أهلها وناس في خارجها حلقة من حلقات الربط الثقافي، ليتجلى بعلامات وسمات، من أهمها:

- الأثر الزراعي والصناعي والتجاري في صقلية.
- الوجود العلمي والأدبي، وإن لم يكن من السهل أن نعثر عليه، لأن صقلية كانت تستند إلى موروث تشارك فيه غيرها من البلدان الإسلامية.
- الموقع الجغرافي لصقلية الذي جعلها جلبًا ترد السلع التجارية إلى موانئها.
- وجود الكثير من المدارس والمدرسين فزادت الكمية ولم تعنِ بالنوعية حماية من الجندية [١١].

٣/١-انتشار المدارس التعليمية

ذكر ابن حوقل [١٢] عن صقلية أنّ النشاط الثقافي فيها كان لفترة معيَّنة، ولاحظ ظاهرتين متلازمتين وهما كثرة المساجد وكثرة المعلمين، فعرف أن في بلرم ما يزيد على مائتي مسجد، وقرر أنه لم يرَ مثل هذا العدد في بلد من البلدان الكبار، ولا سمع به إلا فيما يتذاكره أهل قرطبة، فقال: ولقد كنت واقفًا ذات يوم بها في جوار دار أبي محمد القفصي الفقيه [١٣] الوثائقي فرأيت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد مقصور عليه، لا يجب أن يشركه فيه غير أهله وحاشيته[١٤].

وربما هذا التحليل الذي يقول به ابن حوقل صحيحًا، لأن فيه ما يصور تلك الروح الفردية التي كانت تغلب على الثقافة هنالك، فالإكثار من بناء المساجد خير ما ينفع الجماعة الإسلامية بانتصارها على كل مورث صقلي، وخير ما يطمأن الأذهان إلى تثبيت الصيغة الإسلامية في تلك البلاد، وهي طمأنينة لازمة فيها أهل الأدب ومنتجع طلاب العلم من سائر أنحاء صقلية.

وقد استمر تأثير المسلمين في صقلية بعد انتهاء حكمهم مدة تقارب قرنين من الزمن، ولا تزال آثارهم ماثلة إلى الآن في الجزيرة، وقد استمر التمازج الحضاري والتفاعل الثقافي بين المسلمين والمسيحيين في صقلية رغم سيطرة النورمان عليها، ورغم الاضطرابات في صقلية أثناء الحكم الإسلامي، غير أن الأنشطة الثقافية ظهرت واضحة في فترة هذا الحكم،

فكان علي بن حمزة البصري المتوفي في صقلية ٨٩٥م وكان لغويًا وأديبًا[١٥]، فيما ظهرت الكثير من الكتب والدراسات الفقهية والأدبية والنحوية والعلمية والثقافية التي تؤكد على انتشار وتفاعل الثقافي بين الدولة الإسلامية وجزيرة صقلية[١٦].

والخلاصة، يتبيّن لنا أن صقلية وعلى مدى جزء كبير من تاريخها تحت الحكم الإسلامي محكومة كمستعملة من ولاية أفريقيا التي كانت بمثابة "محور" البحر المتوسط بشكل وثيق الصلة، إذ حافظت على أهميتها الضامنة للأمن في العصر الفاطمي وما تلاه.

كما ويمكن القول بأن الموضوع الآخر للقضية هو الأهمية المستمرة للعمل الرائد في القاهرة من حيث قراءة مخطوطات "جينيزا"[١٧] والاستمرار لهذا الأرشيف الفريد لتعزيز فهمنا للبحر المتوسط في العصور الوسطى، حيث أصبح هذا في علم التاريخ مرادفًا للحكم الفاطمي في مصر، والافتراض المرتبط بذلك هو أن جزيرة صقلية المسلمة تميل شرقًا للبحث عن الإلهام. ولكن كانت هناك فترة شمال أفريقيا مدتها سبعون عامًا بالنسبة للفاطميين، ومن المهم أن نأخذ بعض التقاليد المغربية والإفريقية المحلية التي ساهمت واعتبارهم على قدم المساواة.

ففي فترة التوافق الديني المزعومة ازدهارًا ثقافيًا وتجاريًا في مراكز إقليمية جديدة، وأبّان الانهيار السياسي المعاصر حينها في صقلية المسلمة داخل الجزيرة، فهناك حلقة مليئة من الأزمات المالية والعسكرية التي أدت إلى حرب أهلية منهكة، كما وأن العصر المظلم لملوك الطوائف[١٨] هو الناتج عن ذلك من خلال الغياب النسبي لأي مخرجات تجارية، أو ثقافية، أو دينية، أو معمارية واستمرت فترة الأزمة مع الشتات في صقلية وبعد ذل تمّ تمديدها لمدة ثلاثة عقود أخرى من قبل الفتح النورماني سنة ٩٩٩م.

ربما لا ينبغي لنا أن نتفاجأ إذا لم يكن هناك مشاغل فخمة الجودة من الفترة الإسلامية التي نجت من أن يرثها الحكام النورمان، لذا اضطر الملوك المسيحيون إلى جلب حرفيين مسلمين من ذوي المهارات العالية من الإسكندرية لإعادة التأثيرات الفنية والتي كانت موجودة في العالم الإسلامي إلى قصورهم الملكية بعد عام ١١٣٠م[١٩].

ثانيًا: مراكز التفاعل الثقافي في العصور الوسطى

تركت حركة الفتوحات في حياة المسلمين أثرًا مزدوجًا، حيث كانت العوامل الأساسية التي زادت من التمازج الحضاري بين المسلمين أنفسهم داخل الجزيرة العربية وخارجها. ثم بين المسلمين والبلدان المفتوحة[٢٠] فحين قاموا بحركة الفتوحات حافظوا على ما كان قائمًا من مؤسسات علمية في المناطق التي خضعت لهم[٢١]، فهم أهل للاقتباس ولا ريب في أن العرب الذين استطاعوا في أقل من قرن أن يقيموا دولة عظيمة، ويبدعوا حضارة عالية جديدة من ذوي القرائح اليت لا تتم إلا بتوالي الوراثة، وبثقافة مستمرة، وبالعرب أنشأ خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم تلك المدن الزاهرة التي ظلت ثمانية قرون مراكز للعلوم والآداب والفنون في آسيا وأوروبا[٢٢].

وحين بلغت الحضارة العربية عصرها الذهبي في أواخر القرن الرابع الهجري، قامت الثقافة العربية بدور هام في بناء النهضة العلمية الحديثة، فظهرت حركة الترجمة واقتباس العلوم لتتوسع شيئًا فشيئًا حتى وصلت إلى الأندلس وصقلية، ما لبثت أن أمست منطلقًا لحركة ترجمة كبيرة أخرى قامت فيما بعد، وكان الهدف نمها نقل المؤلفات الإغريقية العربية إلى اللغات الأوروبية[٢٣].

وهكذا، انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في الغرب، وأخذ علماء أوروبا من المصادر العربية، فاشتغلوا بدراستها وتحليلها، وكانت الثقافة الإسلامية آن ذاك تمثل العلم الحديث، وكان العرب رواد المناهج العلمية فاكتشف العلماء والمثقفون الغربيون العقلية العلمية بطابعها التجريبي والاستقرائي بحيث وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي وفي الثقافة الإسلامية ضالتهم المنشودة، فعكفوا على نشره[٢٤]. فكان التفاعل الحضاري والثقافي بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس، والتبادل الثقافي والفكري يشق طريقه نحو المجد ورقي الإنسان، ومن أهم هذه المراكز:

١/٢-التفاعل الثقافي في جزيرة صقلية

تقع جزيرة صقلية بين ساحل إيطاليا الجنوبي وبين الساحل الفرنسي القريب منها جنوبًا، وصقلية شبيهة بمثلث ضخم أطرافه ثلاثة رؤوس، وهي محاطة بثلاثة أبحر: البحر اليوني شرقًا، والبحر التيريني شمالاً والبحر الصقلي جنوبًا وغربًا، أما عدد سكانها في فترة الحكم العربي فكان يُقارب مليونًا وستمائة ألف نسمة، بينهم ستمائة ألف من المسلمين، وأهم مدنها عاصمتها باليرمو[٢٥]، فتحها المسلمون بعد معاناة عام ٨٢٨م، ولم تتم السيطرة عليها نهائيًا إلا في العام ٩٠٢م والسبب في ذلك تفاوت فترة السيطرة في الأندلس عنها في صقلية، أن العرب في إسبانيا لم يجدوا أمامهم إلا حكمًا محليًا محدودًا لا يعتمد إلا على قواه الذاتية المحلية، بنما واجهتهم في صقلية امبراطورية قوية يمدها الشرق والغرب بقواهما، كما أنها كانت تملك الأساطيل الكبرى والقواعد البحرية والبرية معًا[٢٦].

فقرطبة من أهم المدن قاطبةً، ليس في الأندلس فحسب، بل في العالم أجمع، فقد ضمت العديد من القصور، وما يُقارب ١٣٢ ألف منزل، إضافة إلى ٦٠٠ مسجدًا و٣٠٠ حمامًا و٨٠ مدرسة ومكتبة عامة تضمّ عشرات الآلاف من الكتب [٢٧]، ويبيّن المقري [٢٨] أهمية قرطبة بقوله: إنها مركز الكرماء ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد [٢٩].

واشتهرت قرطبة من الوجهة الفنية بمسجدها الجامع الذي يُعد من أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في القرون الوسطى، حيث كانت تدرس فيه العلوم الدينية واللغوية، يقصده العرب والعجم للتحصيل العلمي، ولا يوجد في بلاد الأندلس أكبر منه وجاء في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنيةً وتنميقًا وطولاً وعرضًا[٣٠]، وكان تعظيم جامع قرطبة عند المسلمين سببًا في قدومهم إلى قرطبة لزيارته والاحتفال في بيت الصلاة فيه بالمناسبات الدينية الهامة باعتباره أكبر المساجد في المغرب والأندلس[٣١].

لذا، يُعدّ مسجد قرطبة أعظم جامعة عربية في أوروبا في العصور الوسطى، ولا شك في أن كثيرًا من طلاب العلم في أوروبا ومن نصارى الأندلس من أهل الذمة تعلموا فيه العلوم العربية، وعلم الطب والرياضيات كما وأن الكثير من نصارى الأندلس استعربوا – أي تثقفوا بالثقافة العربية – إذ وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مشاركة المسلمين في حياتهم، رغبة في تقليد المناصب الكبرى في الإدارة والدواوين الحكومية، وقد نبغ منهم كثيرون في آداب اللغة العربية وظهر منهم الشعراء والكتاب، منهم:

- علي بن حمزة البصري المتوفي في صقلية ٨٩٥م فكان لغويًا وأديبًا [٣٢].
- إسماعيل بن خلف المتوفي ١٠٦٣م، فكان عالمًا في فن النحو والقراءات، وقد اعتمد عليه الناس في هذا الفن [٣٣].
- أحمد بن عبد السلام المتوفي ١٢١٢م، شاعر وأديب، غيورا على الشعر، مسودًا للشعراء، ناقدًا عليهم، يُعرف بالحماسة المغربية[٣٤].

وبالتبادل الثقافي بين المسلمين والمسيحيين، وفي فترة حكم المستنصر وبرعايته للعلماء، ألف الأسقف جودمار الجيروني كتابًا بالعربية عن تاريخ الفرنجة، كما ألّف أسقف قرطبة ربيع بن سعيد كتابًا عن العلوم الطبيعية وقد ترجمه جيرار الكريموني إلى اللاتينية[٣٥].

٢/٢-التفاعل الحضاري والثقافي بين الشام والأندلس

أوّل من أسس ووضع جذور الحضارة الإسلامية الشامية في الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك المعروف بـ "صقر قريش"[٣٦]، وقد حرص منذ قيام دولته في الأندلس على تجديد ما زال من حضارة بني أمية في الشرق، وعلى نقل النظم الإدارية المعروفة في المشرق الإسلامي في العهد الأموي، وطبقها في الأندلس تطبيقًا مشابهًا وعمليًا، لأن العرب الأوائل نقلوا معهم أنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

فكان من الطبيعي أن تتأثر الدولة الناشئة بالحضارة الشامية والتقاليد والأنظمة الإسلامية، فالحياة الأدبية في الأندلس كانت صدى لحياة الشام الأدبية، فنقل صاحب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية: بأن الشعر في الأندلس كالشعر في الشام، وأول ما دار على محور العصبية القبلية التقليدي فهو في معظمه مدح وهجاء وفي بلاط الأمويين تفتحت براعم المدح المثقل بالإطراء

الغريب المستهجن، ولكن المزاج الأندلسي أستطاع أن ينفخ في قوالب الشعر البدوي روحًا جديدة[٣٧].

كما وأن عبد الرحمن الداخل جعل من عاصمته قرطبة صورة من دمشق من حيث المنازل البيضاء ذات الأحواش الداخلية وفي أشجارها وحدائقها، فكان يرسل رسلاً إلى بلاد الشام خصيصًا لجلب أشجار النخيل والفاكهة والأشجار المثمرة كالتين والرمان والعنب وهي أثمار لا تزال معروفة إلى الآن في إسبانيا، وبنى قصوره خارج مدينة قرطبة على غرار القصور الأموية في الشام[٣٨]. أما المسجد الجامع في قرطبة الذي أقامه عبد الرحمن عام ١٦٩ هجرية، فتظهر فيه فن العمارة، والمؤثرات الشامية الإسلامية بزخارفه ونظام سقفه ومأذنته مع اتساع مساحة المسجد، وهي تماثل مآذن الشام والقدس، حيث استعان عبد الرحمن بالبنائين والمهندسين الشاميين في بنائه.

وهذا التشابه في الفن المعماري بين الأندلس والشام ليس إلا وليد التفاعل الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب، وإلى عبد الرحمن الداخل يرجع الفضل في غرس بذور النهضة العلمية والثقافية والعمرانية في قرطبة[٣٩]. وقد ظل هذا الفن على قوته يشكل إبداعًا وفنًا في إسبانيا والبلاد المفتوحة، ويؤثر على الفن الجرماني والفن الأوروبي إلى عصر النهضة، حيث تأثر الغرب الأوروبي بالفن العربي والنقوش الإسلامية تأثرًا بالغًا، فنقلت الآيات القرآنية بخطوطها الجميلة التي كانت على جدران المساجد ووضعت على جدران الكنائس دون أن يفقهوا معانيها، والتي كتبت بأسلوب فني وراقي جميل[٤٠].

فمن الآثار المعمارية الإسلامية الخالدة في إسبانيا والتي لا تزال آثارها ماثلة إلى الآن:

- مسجد قرطبة الذي يضم ١٤٠٠ عامود من أقواس الدائرة، وقد تحول إلى كنيسة.
- قصر الحمراء في غرناطة الذي أقامه المسلمون، وكان يطلق عليه الطراز المعماري الجديد بالطراز المراكشي، ظنًا أنه من مراكش، وحقيقته أنه نسخة من طراز بلاد الشام وتظهر فيه المهارة الفنية[٤١].
- ما نقله الأديب والمؤرخ أمين الريحاني[٤٢] الذي زار إسبانيا سنة ١٩١٧م، من أن مدرسة إشبيلية أخذت الكثير عن الفن الشامي، وأشار إلى بروز الأثر السوري في فن الرسم والتصوير والعمارة الأندلسية، لا سيما في القصور والأبراج والأسوار.

٣/٢-التفاعل الحضاري والثقافي بين الحجاز والأندلس

يعتبر الحجاز في القرن الثاني الهجري مركزًا ثقافيًا للعلوم الدينية، ويكفينا الاطلاع على كتاب الأغاني لتكوين فكرة حقيقية عن مدى الازدهار الفني الذي بلغته منطقة الحجاز في تلك الفترة، حيث ظهرت المدارس الموسيقية الأولى في الإسلام، ثم انتقلت مؤثراتها وخصائصها إلى الأندلس بواسطة المغنين والمغنيات والجواري.

(٣/٢) ١-من الناحية الدينية:

فقد ظهر أثر المدينة المنورة واضحًا في الأندلس، ومن بين المؤثرات الهامة دخول المذهب المالكي للإمام مالك بن أنس[٤٣] المتوفي ١٧٩ هجرية، وألّف كتابًا في الفقه والحديث معًا أسماه الموطأ. فانتشر مذهبه في الأندلس، وكان أول من أدخل هذا المذهب زياد بن عبد الرحمن اللخمي[٤٤]، ومما ساعد على انتشار هذا المذهب في الأندلس الخلافات السياسية بين العباسيين أتباع المذهب الحنفي وبين الأمويين الذين اعتنقوا المذهب المالكي، ومما ساعد الفقهاء الأندلسيين الزيارات ورحلات العلم إلى المدينة المنورة، فطبيعة الحجازيين تتشابه مع طبيعة الأندلسيين وبساطة حياتهم مما ساعد إلى انتشار واعتماد المذهب المالكي في الأندلس[٤٥].

(٣/٢) ٢-ومن الناحية الفنية:

حيث انتقلت المؤثرات إلى الأندلس عبر المغنيين والمغنيات الذين وفدوا إليها، ومنهما العجفاء المغنية[٤٦] التي أثارت إعجاب الأندلسيين بغنائها وطربها، فكانت ذات صوت غرد ولا تغريد البلابل، مالت إليها القلوب وتحدثت بحسن صناعتها الركبان في كل مكان[٤٧]. فالتفاعل بين الموسيقى والشعر ذو قدرة على توجيه الشعر وتحديد قوالبه، وقد كاد الأندلس يكون كليًا على التلاحين المشرقية، حيث كان أمراؤهم يؤمنون بتفوق

الجواري المشرقيات في هذه الناحية، ويبذلون في استقدامهن الأموال الكثيرة.

فيروي ابن حزم [٤٨] عن أحد أساتذته أنّ رجلاً من أهل المشرق دخل الأندلس وسكن قرطبة على شاطئ الوادي بالعيون، وأنه كانت لديه جارية مدنية طيبة الصوت، تقرأ القرآن وتغني وأنه دعا قاضي المدينة حينئذ فأسمعه من قراءتها وغنائها [٤٩]. وزاد زرياب [٥٠] في أوتار عوده وترًا خامسًا، واخترع له مضرابًا اتخذه من قوادم النسر معتاضًا به من مرهف الخشب، وحبل للغناء مراسيم، فكل مغني لا بدّ أن يبدأ بالنشيد أول شدوه، ويأتي إثره بالبسيط، ويختم بالمحركات والأهازيج، وأخذ في تعليم الغناء واختبار صلاحية الأصوات، وتلقف أبناؤه وبناته وجواريه صناعته وأشاعوها في الأندلس، وقد تعلم بعض رجال الأندلس أصول هذا الغناء المشرقي فكان عباس بن فرناس الشاعر مجيدًا له.[٥١]

يتبين من خلال العرض السابق أن التفاعل الثقافي قد شاع بين الشرق والغرب، خاصة من الناحيتين الدينية والغنائية، حيث شاع الغناء في البلاد الأندلسية عامة ولم يقتصر احتفال الناس به على قرطبة فقط، وقد أحرزت أشبيلية الإقبال على الآلات اللهو والموسيقى والغناء حتى شاع في تلك الفترة، أنه من مات عالم بأشبيلية وأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلات حملت إلى إشبيلية وبيعت هناك.

ثالثًا: التفاعل التجاري بين الشرق والغرب

لم تكن العلاقات بين الشرق والغرب كلها علاقات حربية وعدائية، إنما تخللها علاقات حضارية وتبادل تجاري وصناعي لا سيما في فترات السلام، فتبادل السفارات السياسية والعلمية بين المماليك الإسلامية والمسيحية في الأندلس أعطى لحوض المتوسط زخمًا ودفعًا لتلك البلاد.

١/٣-على الصعيد الصناعي

فقد تعرّف الإفرنج إلى الكثير من الصناعات العربية، ونقلوها إلى بلادهم، مثل الصناعات الزجاجية والخزفية والمرايا والحلي والسجاد والمنسوجات والأواني المعدنية والعقاقير وصناعة الصابون والسكر، حيث كانت مدينة طرابلس الشام تحوي وقت الهجوم الصليبي عليها مطلع القرن الثاني عشر نحو أربعة آلاف من مصانع الحرير والصوف، فضلاً عن مصانع الورق التي اعُتبرت إحدى الصناعات الهامة في تلك الفترة [٥٢]. كما وتعلّم الإفرنج من سكان الشام عملية استخراج السكر من القصب، فظهرت أول معصرة للسكر في عكا، إضافة إلى معصرتين في أريحا، فضلاً عن مصانع السكر في معظم مدن الساحل التي اشتهرت بتلك الصناعة، ومن هذه المدن بدأت عملية التصدير وبكميات كبيرة إلى معظم الغرب الأوروبي.

وكذلك قام الصليبيون بتصدير الأقمشة من بلاد الشام إلى أوروبا، والملابس الحريرية والمخمل والزجاج، حيث كانت الأقمشة تلي السكر في عملية التصدير من بلاد الشام إلى الغرب الأوروبي، ولأن تربية دود القز كانت منتشرة في بيروت وطرابلس منذ نهاية القرن السادس حيث انتشرت معها زراعة أشجار التوت المعروف بالتوت البري، إضافة الكتان الذي كان ينمو في سهول فلسطين، وقد جرى تصنيعه في تلك المناطق، كما واشتهرت مدينة صور بالصناعات النسيجية والصباغ الأرجواني، الذي اكتسب شهرته منذ العهد الفينيقي، كما وعرفت مدن أخرى كدمشق وبيروت بانتشار مصانع لدبغ الجلود[٥٣].

وتُعتبر مدينة جنوى من أهم المراكز التجارية في أوروبا في العصور الوسطى لتميزها بموقعها الاستراتيجي الهام، فهي نقطة اتصال بين الشرق والغرب، فكانت التجارة الجنوية مع العالم الإسلامي أعطاها زخمًا وازدهارًا لا سيما ي أيام الدولة الفاطمية، ومع تطور هذه العلاقات الاقتصادية التي ازدادت تطورًا زمن الحروب الصليبية نظرًا لتأييد جنوى للحملات الصليبية إلى الشرق قد أكسبهم امتيازات تجارية واقتصادية، فأصبح تجار جنوى يرتادون بسهولة كافة المناطق الغربية والشرقية على السواء، فانتشرت التجارة بين سردينيا وكورسيكا وشمبانيا وفرنسا وإنجلترا من جهة وبين الشرق الإسلامي من جهة ثانية، وأصبحت بضائع الشرق تُرى بوضوح في الأسواق الأوروبية، فالرحلات الجنوية المتجهة إلى الشام ومصر من موانئ

الشرق الأدنى تتم عادة مرتين في العام رحلة الربيع والثانية رحلة الخريف[٥٤].

٢/٣-على الصعيد التجاري

إن من أهم المعاهدات التجارية التي أبرمت في العصور الوسطى، تلك التي عقدت بين جنوى مع السلطان المملوكي قلاوون[٥٥] وولده الأشرف خليل سنة ٦٨٩هـ، وهي تعتبر من أهم المعاهدات التجارية التي عقدت في حينها، فكان تجار جنوى يجلبون إلى مصر وبلاد المشرق الفراء والجلود والزيوت والمنسوجات والمماليك والجواري والخيول والأسلحة والحديد والنحاس والرصاص والأخشاب والحبوب، كما وأنهم نقلوا معهم إلى الغرب سلع بلاد الشام والمشرق، ومنها: المنسوجات والملح والمرجان، والبلسم والزمرد والشمع والعسل والسكر والتوابل والصبغة الزرقاء والتمور والفواكه والتين والزيتون وأخشاب الأرز والملابس على اختلاف أنواعها، إضافة إلى الأواني الزجاجية المصنوعة في المدن الشامية[٥٦].

فالتجارة كانت مزهرة بشكل عام بين البلاد الإسلامية والبلاد الأوروبية حيث انتقلت المؤثرات الصناعية الشرقية إلى مختلف مناطق أوروبا [٥٧]، وقد جنى التجار أموالاً وأرباحًا من التجارة، واشتد الطلب في أوروبا في العصور الوسطى على التجارة الشرقية كالتوابل والأصباغ والحرير والخزف والصابون وغيرها من الصناعات اليت أشرت إليها.

والواقع أن هذه الحركة التجارية شهدت تطورًا أكثر بعد قيام الوحدة بين المسلمين في مصر وبلاد الشام في زمن الدولة الأيوبية باعتبار أنه أصبح من المستطاع أن تجتاز السلع الواردة من العراق وفارس في أمان واطمئنان إلى حلب وحمس ودمشق، ومنها إلى حوض الأبيض المتوسط، وبذلك يقول صاحب كتاب السلوك لمعرفة دولة الملوك: ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة ودخل خلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة فأكرمهم السلطان ومدّ لهم الأطعمة وباسطهم...، وفيها ﷺأي في مدينة دمشقرضي الله عنه انتقل سعر الفور بديار مصر من خمسة عشر دينارًا إلى ثلاثين دينارًا المائة[٥٨]...

وعندما نذكر التجارة بين الشرق والغرب فمعنى ذلك بأن المصالح الاقتصادية هي التي كانت تتحكم بالعلاقات بين التجار الشرقيين والتجار الغربيين، ومما يدل على ذلك أن المدن الإيطالية لم تبادر أثناء الحروب الصليبية بسرعة إلى مساعدة تلك الحملات على الشرق، لأن رخاءها وتطورها الاقتصادي بأكمله يتوقف على استمرار العلاقات الطيبة مع المسلمين، ولكن عندما شعر الإيطاليون بأن احتلال بلاد الشام ممكن أن يضاعف أرباحهم فإن سفن وسكان جنوى وبيزا والبندقية لم يترددوا في المساهمة لتلك الحملات، وقد عرف التجار الإيطاليون وسواهم من التجار الأوروبيين كيف يقيمون الصداقات والعلاقات التجارية مع المسلمين[٥٩].

أمّا النقود المتداولة في الإمارات الصليبية فكانت تتمثل بالدينار الإسلامي الذي ضرب لاستخدامه في التجارة مع المسلمين، وقد اشتهر منه الدينار الصوري الذي اعتمده ثم قام بسكه البنادقة في مدينة صور، وهو عملة ذهبية عليها بعض النقوش العربية والآيات القرآنية، ولم يلبث هذا الدينار الصوري أن أصبح أكثر العملات انتشارًا بسبب جودته، كما وجدت دور للسكة رب النقود في كل من عكا وطرابلس وأنطاكية، حيث كان الإفرنج يسكون النقود لا سيما الدينار الإسلامي تقليدًا للدينار الفاطمي، وما لبث هذا الدينار أن حمل الشعار النصراني بالأحرف العربية[٦٠].

وكان تجار الشام والعراق يتعاملون بهذا الدينار تسهيلاً لأعمالهم التجارية، خاصة وأنه لم يكن للدينار الإسلامي قوة تجارية فقط، بل كانت له قوة سياسية يهابه الغرب. لذلك حرص الإفرنج على تغيير العبارات والآيات القرآنية الواردة فيه، وذلك عندما زار الملك لويس التاسع الإمارات الصليبية في الشام بعد حملته الفاشلة على مصر في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، كان الدينار الصوري لا يزال التداول فيه قائمًا ومعمولاً به في بلاد الشام بعباراته الإسلامية، وكان البابا أنوسنت الرابع قد حرّم استخدام هذا الدينار، فيما كان لويس التاسع يتدخل ويتوسط مع المعنيين الإفرنج إلى حل وسط وهو الإبقاء على هذا الدينار وقيمته الشرائية، على أن يتم تغيير الآية القرآنية بعبارة

مسيحية تكتب بالعربية حتى يقبل المسلمين على التعامل به[٦١].

كما تطورت حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب، وظهر نظام الرهونات والأوراق النقدية والمعاملات التجارية المتنوعة، كما أوجدت هذه الحركة التجارية أوراقًا مالية وشيكات تجارية باتت مقبولة في مختلف بلاد الشام وأوروبا، وقد شارك في أعمال الصيرفة إلى جانب الإيطاليين فئات من اليهود.

خَاتِمَةٌ

- عاش المسلمون واليهود والمسيحيون في مجتمع متآلف في الأندلس وصقلية وهذا التناغم وصفه المؤرخون بالعصر الذهبي للإنسانية.
- انتشار المدارس التعليمية والتي تفاعلت مع الغربيين لا سيما في مجالات الشعر واللغة والموسيقى والهندسة المعمارية وعلم الكلام والفقه والفلسفة، والطب، والصيدلة، والتصوف.
- قيام نظام المصارف أو البنوك التي ساعدت التجار بإمدادهم بالقروض المالية.
- إبرام المعاهدات الرسمية التي ضمنت قيام التجارة وحقوقها وحقوق التجار في كلا الجانبين.
- ظهور عدة مدن سواء في الشرق أو الغرب وهذا النشاط مهّد لانهيار النظام الإقطاعي بعد اجتذاب الفلاحين للمشاركة في الأعمال التجارية لا سيما في هذه المدن الجديدة.
- استفاد الإفرنج من كمية الأخشاب المتوافرة في بلاد الشرق لا سيما غابات بيروت وجبل لبنان، فصنعوا منها بعض سفنهم التجارية والحربية.
- ظهرت صناعات لم تكن موجودة وإعفاؤها من الضرائب، كما يتضح من بنود المعاهدة التي أبرمت بين إمارة بيروت وجمهورية جنوى التي نصت: "أن المصنوعات الفخارية المختلفة كانت من السلع المعفاة من الرسوم الجمركية"[٦٢].

الاحالات المرجعية:

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفي ١٤٢٤هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، مصر، ط١، باب فعل، ج٣، ٢٠٠٨م، ص ١٧٣٥.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسن الفارابي (المتوفي ٣٥٠هـ)، **معجم ديوان الأدب**، مؤسسة شعيب، القاهرة، باب التفاعل، ج٣، ٢٠٠٣م، ص ٤٦.

(٣) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (المتوفي ٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، باب أبنية الأفعال، ج١، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٨.

(٤) **دولة الأغالبة** (٨٠٠ – ٩٠٩)، هي إحدى الدول الإسلامية من أصل القبيلة العربية بني تميم "بنو الأغلب" وكانوا ينتشرون في منطقة المغرب العربي تحديدًا من غرب ليبيا إلى شرق الجزائر تتوسطهم تونس، أما الجزء الآخر فعبارة عن صقلية ومالطة وسردينيا وكورسيكا والمنطقة الجنوبية من إيطاليا، تأسست أول دولة إسلامية على ربوعها بقرار من الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد سنة ٨٠٠م، لوضع سد أمام الدويلات المنتشرة في غرب أفريقيا والأندلس من خوارج وأدارسة وأمويين. بقيت هذه القوة البحرية مسيطرة على البحر المتوسط وسواحلها الجنوبية والشمالية لفترة طويلة من الزمن، إلا أن انتشار الفن والثورات التي اشتعلت في أفريقيا بين البربر والخوارج الصغرية والإباضية عجّل بنهايتها، فانشغل الولاة حينها عن الخروج للجهاد، واقتصار الطامعين، غير أنها سقطت في النهاية بيد الفاطميين. (محمود إسماعيل، **الأغالبة** ١٨٤هـ - ٢٩٦هـ، **سياستهم الخارجية** عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١١ وما بعدها).

(٥) سلك الفاطميون مسلك العباسيين عند تأسيس دولتهم فمهدوا لدولتهم بالدعوة إلى المذهب الإسماعيلي في مصر والمغرب واليمن، وأصبح لها أتباع وأنصار بكل من هذه البلاد، واستطاعوا أن يستميلوا وزراء العهد الأخير للأغالبة. وفي ١٤ من ربيع الآخر سنة ٣٥٨هـ، سار جوهر الصقلي على رأس جيش من الفاطميين قوامه مئة ألف فارس، فدخل الإسكندرية بغير مقاومة، ولما وردت إلى القسطاط أخبار بوصول جوهر إلى الإسكندرية حصلت مفاوضات لتجنب بحر من الدماء، وبالفعل تمت سيطرة العبيد الفاطميين على كامل الأقاليم المصرية وخروجًا بالتالي عن الخضوع للخلافة العباسية في بغداد. (عُلا الصلابي، **الدولة العبيدية الفاطمية**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٤٥)

(٦) بنو زيري: هي إحدى السلالات البربرية التي تنتمي إلى قبيلة صنهاجة، وهي إحدى قبائل الأمازيغ التي حكمت بلاد المغرب العربي الأوسط وشمال أفريقيا، وتحديدًا في الدول التي تشغل اليوم تونس والجزائر وبعض مناطق ليبيا، بالإضافة إلى بعض الأجزاء من بلاد الأندلس وامتد حكمهم زمنيًا من بداية الثلث الأخير من القرن العاشر الميلادي حتى أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، وامتازت هذه الدويلة بأنها اعتمدت على عناصر عسكرية من بني جلدتها ثم دخلت في حروب داخلية لامتداد سلطانها على حساب جيرانها من أمراء الطوائف سواء بالقوة أو الحيل السياسية. (خليل إبراهيم السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ج١، ٢٠٠٠ ص ٣٩٦).

(٧) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، دار الساقي، بيروت، ج ١٦، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٨.

(٨) القيروان: معظم العسكر والقافلة من الجماعة، والقيروان هو معظم الكتيبة، وهو معرّب كارْوان، وأراد بالقيروان أصحاب الشيطان وأعوانه، وهي دولة بالمغرب الأفريقي افتتحها عقبة بن نافع في زمن معاوية

سنة ٥٠ للهجرة، وكان موضعها مأوى السّباع والحيات، فدعا الله عز وجل فلم يبقَ فيها شيء الأخرج منها حتى أن السباع لتحمل أولادها معها. (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفي ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، باب قير، ج ١٣، د.ت.، ص ٥٠١.

(٩) **الكلبيين**: وهي الفترة التي خضعت صقلية لحكم ابن الحسين الكلبيين، ففي سنة ٣٣٦هـ تولى أمرها ابن علي بن أبي الحسين من أسرة الكلبيين وكانت هذه الأسرة من أخلص أعوان العبيديين ولأفرادها مواقف جليلة في خدمة الدولة الفاطمية أثناء ثورة أبي يزيد، وتقديرًا لخدمات أبي الحسن كافأه المنصور بولاية صقلية. (إحسان عباس، العرب في صقلية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط١، ج١، ١٩٧٥م، ص ٤٤.

(١٠) إحسان عباس، **العرب في صقلية**، ج١، ص ٨٦.

(١١) عزيز أحمد، **تاريخ صقلية الإسلامي**، تعريب: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس الغرب، ليبيا، ١٩٨٠م، ص ٤٩ – ٥٦.

(١٢) **ابن حوقل**: هو محمد بن حوقل البغدادي الموصلي المتوفي ٣٦٧ هجرية، رحالة من علماء البلدان، كان تاجرًا، رحل من بغداد سنة ٣٣١هـ ودخل المغرب وصقلية وجاب بلاد الأندلس وغيرها، ويقال إنه كان عينًا للفاطميين، له المسالك والممالك. (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، (المتوفي ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، باب ابن حوقل، ج٦، ٢٠٠٢م، ص ١١١.

(١٣) **أبو محمد القفصي**: هو عطية بن سعيد الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو محمد الأندلسي القفصي الصوفي، أخذ القرآن عن جماعة ورحل وكتب الحديث وكان زاهدًا وبرع في هذا الشأن، فكان يتكلم على الرجال وأحوالهم فيتعجب منه سامعوه، مات في مكة سنة ٤٠٨هـ، له طرق حديث المغفر وكتاب في صحة السماع. (عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (المتوفي ٩١١هـ)، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج١، ١٤٠٣هـ، ص ٤٢٢).

(١٤) مخائيل أماري، **نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، مكتبة المتنبي، بغداد، ٢٠١٦م، ص ٥٤.

(١٥) **علي بن حمزة البصري**: يكن أبا النعيم، كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين بها العارفين بصحيحها وسقيمها، وله ردود على جماعة من أئمة اللغة كابن دريد والأصمعي وغيرهم، ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل، قال أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز، مات في صقلية سنة ٨٩٥م وصلى عليه القاضي إبراهيم = = بن مالك قاضي صقلية، له تصانيف منها: كتاب الرد على أبي زياد الكلابي. (ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (المتوفي ٦٢٦هـ)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ج٤، ١٩٩٣م، ص ١٧٥٤.

(١٦) عزيز أحمد، **تاريخ صقلية**، ص ٥٢.

(١٧) **جينيزا**: مجموعة من الأوراق والوثائق التي لا يجوز إبادتها أو إهمالها وفقًا للديانة اليهودية، وخصوصًا إذا ضمت اسم الله بين ثناياها، وإنما يتم تخزينها في غرفة معزولة في الكنيسة أو المعبد لأجيال، وتعتبر الجيزة في مصر اختصارًا لهذه الكلمة إذ بالأصل كان اسمها جينيزا ثم مع الزمن التطوري أصبحت جيزا، كذلك ورد اسم الجيزة في بلاد الشام في الجزء الجنوبي من سوريا أسفل أذرعات وتعتبر من الأماكن التي سكنها اليهود وبنوا فيها مدائنهم وهي من الأماكن الأثرية والموغلة في القدم والتي تضم مختلف الحضارات القديمة وهي قرية تشرف على وادي الزيدي في سهل حوران.

(Goitein, S.D. the Documents of the Cairo Geniza as a source for Meditrranean Social History, Journal of the American Oriental Society 80, no. 2, 1960: 91 – 100).

(١٨) **ملوك الطوائف**: هي فترة تاريخية في الأندلس، بدأت عام ٤٢٢هـ، عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، ما شجع أمراء الأندلس إلى بناء دويلات منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه. كانت الأندلس في عهد ملوك الطوائف مقسمة إلى عدد من الدويلات، إضافة إلى أن هذه الدويلات قُسّمت داخليًا، ووصل عددها إلى اثنتين وعشرين دويلة، عُرفت بدول الطوائف أو ملوك الطوائف، وكانت أوضاع هذه الدويلات في غاية السوء. فالنزاعات القائمة فيما بينهم، فضلاً عن اقتتال الإخوة، الأمر الذي تطور إلى أن يستعين بعضهم بالنصارى في حربه ضد المسلمين. (داود قندولي، **ملوك الطوائف ونتائج صراعهم حول السلطة في الأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٦٧.

(١٩) هي العملية التي أصبحت فيها الممالك الإقطاعية في أوروبا مليئة بالقلاع، والتي يمكن للأمراء المحليين من خلالها السيطرة على ريف إقطاعهم وجيرانهم، والتي من خلالها يمكن للملوك أن يسيطروا حتى على الزوايا البعيدة من عوالمهم، كما أن انتشار القلعة في كل مكان هو أيقونة العصور الوسطى.

(Kraub, Andrea. Constellations: A Brief Introduction. MLN 126, no. 3 (2011): 439.

(٢٠) زاهية قدورة، **الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات اللبنانية، بيروت، ١٩٨٣ – ١٩٨٤، ص ٦٤.

(٢١) محمد عبد السلام كفافي، **الحضارة العربية مقوماتها وميزاتها العامة**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٨٤.

(٢٢) لوبون غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٩٢.

(٢٣) ميكايل أندريه، **العرب الإسلام وأوروبا**، مركز الحريري الثقافي، أبحاث وتوثيق، إشراف عادل إسماعيل صدر عن دار النشر Flammarios، باريس، ١٩٩١م، ص ١٧٦.

(٢٤) أشرف صالح محمد سيد، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، دار ناشري النشر الإلكتروني، الكويت، ٢٠٠٩م، ص٢٣.

(٢٥) عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٨.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١٥ – ١٧.

(٢٧) حسان حلاق، **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٨٧.

(٢٨) **المقري**: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى (المتوفي ١٠٤١هـ)، المؤرخ والأديب الحافظ، صاحب "**نفح الطيب في غصن الأندلس**"، **في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي**، ولد في المغرب وانتقل إلى فاس فكان خطيبها وقاضيها، ومنها إلى القاهرة حيث مات مسمومًا فيها، (**الإعلام**، الزركلي، باب المقري، ج١، ص ٢٣٧).

(٢٩) أحمد بن محمد بن أحمد المقري، **نفح الطيب في غصن الأندلس**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١٥.

(٣٠) أبو عبد الله محمد بن أحمد الإدريسي (المتوفي ٥٢٦هـ)، **نزهة المشتاق في اختراع الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٥٧٥.

(٣١) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار المعارف، بيروت، د.ت، ص ٣٧.

(٣٢) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٨٣.

(٣٣) المصدر السابق، ج١، ص ٣١٣.

(٣٤) المصدر السابق، ج١، ص ١٥٠.

(٣٥) حسان حلاق، **العلاقات بين الشرق والغرب**.

(٣٦) **عبد الرحمن بن معاوية**، بن هشام الداخل إلى الأندلس، وهو أول من ملك الأندلس وانفلت من يد بني العباس وأبعد إلى المغرب فأقام ببرقة خمس سنين، دخل الأندلس بعد أن بويع له بالخلافة سنة ١٣٩ هجرية فكانت ولايته ثلاث وثلاثين سنة وأربعة أشهر، فكان من أهل العلم والعدل في قضائه، وكانوا يقولون، ملك الدنيا ابنا بربرتيين يعنون بذلك المنصور وعبد الرحمن، وكان المنصور إذا ذكر له عبد الرحمن قال ذاك صقر قريش. (خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت ج١٨، ٢٠٠٠م، ص ١٦٧).

(٣٧) كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تعريب: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٣٠٠.

(٣٨) أحمد مختار العبادي، **العلاقات بين الشرق والغرب**، مكتبة كريدية، بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢٩.

(٣٩) عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص ٢٠٨.

(٤٠) سعيد عاشور، **المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٩٣.

(٤١) ويليام ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة زكي محمود، دار الجيل، بيروت، ج١٣، ١٩٨٨، ص ٣٢٩.

(٤٢) **أمين الريحاني**: كاتب ومؤرخ، ولد بالفريكة بلبنان ورحل إلى أمريكا وهو في الحادية عشرة من عمره، دخل كلية الحقوق ثم عاد إلى لبنان فدرس قواعد العربية، وزار نجد والحجاز واليمن والأندلس، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الإسباني رئيس شرف. (**الإعلام** للزركلي، ج٢، ص ١٨).

(٤٣) **الإمام مالك بن أنس**: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. مولده ووفاته في المدينة المنورة، كان صلبًا في دينه بعيدًا عن الأمراء والملوك، وُشيَ به فحبس وضرب بالسياط حتى انخلعت كتفه، ووجه إليه الخليفة العباسي هارون الرشيد ليأتيه ويحدثه بعمله، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم فجلس بين يديه وحدثه. (المصدر السابق، ج٥، ص ٢٥٧).

(٤٤) زياد بن عبد الرحمن اللخمي، المتوفي ١٩٣ هجرية، المعروف بشبطون، رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة، سمع من مالك بن أنس الموطأ، وسمع في مكة من سفيان بن عينية، وهو من أصحاب الإمام مالك فلازمه ويسميه عاقل الأندلس، وهو صاحب الفيل الذي أعجب بذكائه مالك (أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، المتوفي ٦٨١هـ، **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان**، دار صادر، بيروت، ج٦، د.ت، ص ١٤٣).

(٤٥) محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي (المتوفي ٤٨٨هـ)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق: إحياء التراث، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٥٥ – ٢٨٤.

(٤٦) **العجفاء المغنية**: بلغت في زمن صباها ما لم ينله غيرها من الفتيان، كان لها صوت عذبٌ، وفي آخر مدتها رماها الزمان بكلكلة وافتقرت وأقامت تعلم الجواري الغناء، اشتراها عبد الرحمن بن معاوية فبقيت عنده حتى ماتت (زينب بن علي بن حسين بن عبد الله العاملي المتوفاة ١٣٣٢هـ)، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، المطبعة الكبرى، مصر، ج١، ١٣١٢هـ، ص ٣٣١.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) **ابن حزم**: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه ويقال لهم "الحزمية"، ولد بقرطبة سنة ٩٩٤م، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهًا حافظًا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدًا من المصانعة. انتقد كثيرًا من العلماء والفقهاء، فتملأوا على بعضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته حتى رحل إلى بادية "ليلة" من بلاد الأندلس وتوفي فيها سنة ١٠٦٤ ميلادية، (**الأعلام** للزركلي، ج٤، ص ٢٥٤).

(٤٩) إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٣٨.

(٥٠) **زرياب**، هو علي بن نافع مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقى في زمنه، كان شاعرًا، عالماً ببعض الفنون، كان حسن الصوت وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار وكانت أوتاره أربعة، غنى في صباه بين يدي هارون الرشيد، توفي ٨٤٥ ميلادية. (**الإعلام** للزركلي، ج٥، ص ٢٨).

(٥١) إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي**، ص ٣٨.

(٥٢) محمد مرسي الشيخ، **الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ٤١٠.

(٥٣) زكي النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٨م، ص ٩٦ – ٩٧.

(٥٤) مصطفى الكتاني، **العلاقات بين جنوى والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١ – ١٢٩١م**، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ٢٩١ – ٣٠٢.

(٥٥) **قلاوون**: أبو المعالي سيف الدين وأول ملوك الدولة القلاوونين بمصر والشام من ملوك الترك كان من المماليك، أعتقه الملك نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس، قام بأمور الدولة في أيام العادل ابن الظاهر، وضربت السكة باسمه، ثم تولى السلطة سنة ٦٧٨ وجلس على سرير الملك في قلعة الجبل، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة ١٢٩٠م (الأعلام للزركلي، ج٥، ص ٢٠٣).

(٥٦) مصطفى الكتاني، **العلاقات بين جنوى والشرق الأدنى الإسلامي**، ص ٣٠٥ – ٣٠٩.

(٥٧) زكي النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية بين العرب والإفرنج**، ص ١٨٥.

(٥٨) أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي. (المتوفي ٨٤٥هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ١٩٩٧م، ص ٢٢٤.

(٥٩) فايد محمد عاشور، **العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي**، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ١٩٣ – ٢٠٥.

(٦٠) مصطفى الكتاني، **العلاقات بين جنوى والشرق الأدنى الإسلامي**، ص ٣١٥.

(٦١) رينهارت بيتر دُوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد النُعيمي، وزارة الثقافة، والإعلام، العراق، ط١، ج٤، ٢٠٠٠م، ص ٤١٤.

(٦٢) زكي نقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج**، ص ١٨٤.